كتاب

[illegible]

جاءنا الكتاب الآتي من صاحب الفضيلة ، والمزايا الجليلة ، خادم الملة والأمة ، الاستاذ الكبير ، الشيخ مصطفى نجا مفتي ولاية بيروت ورئيس جمعية المقاصد الاسلامية فيها :

سلام الله تعالى وتحياته ورحمته وبركاته على حضرة العلامة الأجل المحقق الفضال السيد محمد رشيد رضا المكرم زاده الله فضله وعلاه

(وبعد) فقد اطلعت على كتاب الخلافة الاسلامية الذي بين للأمة حكم هذه المسألة [illegible] السلامة [illegible] إن الاسلام أعظم قوة معنوية [illegible] مدنية الشرق ومدنية الغرب [illegible] إلا بالدين ولا يوجد دين يتفق مع العلم والمدنية إلا الاسلام

فهو أفضل كتاب ألف في هذا الزمان لهداية الحائرين ، وتنبيه الغافلين ، وإفحام المتفلسفين ، الذين انحرفوا عن الدين ، واتبعوا غير سبيل المؤمنين ، طمعهم وإفهامهم أن الشريعة الاسلامية غير صالحة لكل زمان وأنها علة تأخر المسلمين

فلحضرتكم أيها الاستاذ الفاضل الجزاء الأوفى بالمعروف الناطق من الشكر بكتابكم هذا وبمنارك الأسنى ، أقدم بعد الدعاء لك بطول البقاء جزيل الشكر والثناء على ما تحدثت لنا من فرائد الفوائد السنية ، وما أبديت من الحقائق المؤيدة بالأدلة الشرعية والبراهين الجلية ، وأسأل الله تعالى أن يجزيك خير الجزاء على نصحك للأمة ويمتعك بعنايته وعونه بمنه وكرمه

والختام أشرح مزيد شوقي إلى ذاتك الكريمة وأهديك تحية الاحترام والسلام .

في ٥ رجب سنة ١٣٤٤ — مفتي بيروت

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مسألة صفات الله تعالى وعلوه بين النفي والاثبات ﴾

(جواب سؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية)

رحمه الله تعالى

(السؤال) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين وفقهم الله تعالى في مسألة الاثبات للصفات والجزم باثبات العلو ونحوها هل يجب على أحد معرفة هذا ، ولا يبحث عنه ، ويعتقد أن الله واحد في ملكه وهو رب كل شيء وخالقه ومليكه ، ومن تكلم في شيء من هذا فهو مجسم حشوي . فهل هذا القائل لهذا الكلام مصيب أم مخطئ ؟ فاذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا اثبات الصفات والعلو ويعرفوه ؟ وما معنى التجسيم والحشو ؟ افتونا وابسطوا القول في هذا مأجورين ان شاء الله تعالى

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فما جاء به القرآن أو السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة ، وتفصيلا عند العلم بالتفصيل ، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر

به عن الله ، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة ، إذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه ، وقد قال الله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين)

وفي الجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام لا يحتاج إلى تقريره هنا وهو الإقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء به من القرآن والسنة كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)

ومما جاء به الرسول رضاه عن السابقين الأولين ، وعن من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، كما قال (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)

ومما جاء به الرسول إخباره بأنه تعالى قد أكمل الدين بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ، ومما جاء به الرسول أمر الله له بالبلاغ المبين كما قال تعالى (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) وقال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال

تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)

ومعلوم انه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئاً، فان كتمان ما أنزله الله اليه يناقض موجب الرسالة كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ، ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها ، والامة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل اليه من ربه ، وقد اخبر الله بأنه قد أكمل الدين ، وانما كمل بما بلغه اذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فعلم انه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده كما قال صلى الله عليه وسلم « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » وقال « ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ، وما من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به » وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علماً

فلما تبين هذا فقد صح ووجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه كما كان عليه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فان هؤلاء الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل كما قال أبو عبد الرحمن السلمي لقد حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وغيره انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل

جميعا ، وقد قام عبد الله بن عمر وهو من أصاغر الصحابة في تعلم البقرة ثماني سنين وانما ذلك لاجل الفهم والمعرفة وهذا معلوم من وجوه

(أحدها) أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظا ومعنى ، بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى اوكد فانه قد علم أنه من قرأ كتابا في الطب او الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك فانه لابد أن يكون راغبا في فهمه وتصور معانيه ، فكيف من قرأ كتاب الله تعالى المنزل اليهم الذي به هداهم الله وبه عرفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والغي ؟

فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات بل اذا سمع المتعلم من العالم حديثا فانه يرغب في فهمه فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه ، بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه ، فان معرفة الحروف بدون المعاني لاتحصل المقصود اذ اللفظ انما يراد للمعنى

(الوجه الثاني) أن الله سبحانه وتعالى قد حضهم على تدبره وتعقله واتباعه في غير موضع كما قال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال تعالى (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فاذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره علم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين على تدبره (١) وعلم أن معانيه مما يمكن فهمها ومعرفتها

(١) كذا ولعل أصله مما يمكنهم تدبره

فكيف لا يكون ذلك للمؤمنين، وهذا يبين أن معانيه كانت معروفة بينهم

(الوجه الثالث) أنه قال تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فبين انه انزله عربيا لأن يعقلوا، والعقل لا يكون الا مع العلم بمعانيه

(الوجه الرابع) انه ذم من لا يفقهه فقال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ٭ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال تعالى (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به

(الوجه الخامس) أنه سبحانه ذم من لم يكن حظه من السماع الا سماع الصوت دون فهم المعنى واتباعه فقال تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) وقال تعالى (أم تحسب أن اكثرهم يسمعون أو يعقلون؟ ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا؟ اؤلئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم) وأمثال ذلك. وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفهموا وقالوا ماذا قال آنفا؟ أي الساعة، وهذا كلام من لم يفقه قال تعالى (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) فمن جعل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان، غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى عليه

(الوجه السادس) أن الصحابة رضي الله عنهم قرؤا للتابعين القرآن كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره أقف عند كل آية منه واسأله عنها . ولهذا قال سفيان الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، وكان ابن مسعود وابن عباس نقلوا عنه (١) من التفسير مالا يحصيه الا الله . والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها

أسباب الاختلاف في التفسير المأثور

فان قال قائل قد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافاً كثيراً ولو كان ذلك معلوما عندهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فيه قيل الاختلاف الثابت عن الصحابة بل وعن أئمة التابعين في القرآن أكثره لا يخرج عن وجهين

(أحدهما) أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه فالمسمى واحد وكل اسم يدل على معنى لا يدل عليه الاسم الآخر مع أن كلاهما حق بمنزلة تسمية الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وتسمية الرسول صلى الله عليه وسلم بأسمائه وتسمية القرآن العزيز بأسمائه فقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) فاذا قيل الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام فهي كلها أسماء لمسمى واحد سبحانه وتعالى وان كل اسم يدل على نعت لله لا يدل عليه الاسم الآخر ومثال هذا من التفسير كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم ، فهذا يقول هو الاسلام

(١) ينظر مرجع الضمير في قوله «عنه» فهذان الصحابيان قد أخذا عن النبي (ص) ولا ذكر له قبله ولعل فيه حذفا يدل عليه كالتصاية بعد عنه

وهذا يقول هو القرآن أي اتباع القرآن ، وهذا يقول السنة والجماعة وهذا يقول طريق العبودية ، وهذا يقول طاعة الله ورسوله ، ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها ويسمى بهذه الاسماء كلها ، ولكن كل واحد منهم دل المخاطب على النعت الذي به يعرف الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت

(الوجه الثاني) أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض أنواعه أو أفراده على سبيل التمثيل للمخاطب لا على الحصر والاحاطة كما لو سأل أعجمي عن معنى لفظ الخبز فأري رغيفاً وقيل هذا هو فذلك مثال للخبز والاشارة الى جنسه لا الى ذلك الرغيف خاصة ومن هذا ما جاء عنهم في قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فالقول الجامع أن الظالم لنفسه هو المفرط بترك مأمور أو فعل محظور ، والمقتصد : (القائم) بأداء الواجبات وترك المحرمات ، والسابق بالخيرات بمنزلة المقرب الذي يتقرب الى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق

ثم ان كلا منهم يذكر نوعا من هذا (فان قال قائل) الظالم المؤخر للصلاة عن وقتها ، والمقتصد المصلي لها في وقتها ، والسابق المصلي لها في أول وقتها حيث يكون التقديم أفضل ، وقال آخر الظالم لنفسه هو البخيل الذي لا يصل رحمه ولا يؤدي (١) زكاته ، والمقتصد القائم بما يجب عليه من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والاعطاء في النائبة ، والسابق الفاعل المستحب بعد الواجب كما فعل الصديق الاكبر حين جاء بماله كله ، ولم يكن مع هذا يأخذ من أحد شيئاً وقال آخر الظالم لنفسه الذي يصوم عن الطعام لا عن

(١) لفظ الاصل ولعله ولا يؤدي تمام زكاته

الاثم، والمقتصد الذي يصوم عن الطعام والاثم، والسابق الذي يصوم من كل ما لا يقربه الى الله تعالى. وامثال ذلك. لم تكن الاقوال (١) متنافية بل كل ذكر نوعا مما تناوله الآية

(الوجه الثالث) أن يذكر أحدهم لنزول الآية سببا ويذكر الآخر سببا آخر لا ينافي الأول، ومن الممكن نزولها لاجل السببين جميعا أو نزولها مرتين مرة لهذا ومرة لهذا. وأما ما صح عن السلف أنهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض، فهذا قليل بالنسبة الى ما لم يختلفوا فيه كما أن تنازعهم في بعض مسائل السنة كبعض مسائل الصلاة والزكاة والصيام والحج والفرائض والطلاق ونحو ذلك لا يمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وجملتها منقولة عنه بالتواتر

وقد تبين أن الله تعالى أنزل عليه الكتاب والحكمة، وأمر أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة. وقد قال غير واحد من السلف أن الحكمة هي السنة وقد قال صلى الله عليه وسلم «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه» فما ثبت عنه من السنة فعلينا اتباعه سواء قيل انه من القرآن ولم نفقهه نحن، أو قيل ليس في القرآن، كما أن ما اتفق عليه السابقون الأولون والذين اتبعوهم باحسان فعلينا أن نتبعهم فيه سواء قيل انه كان منصوصا في السنة ولم يبلغنا ذلك أو قيل انه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة

(١) جواب فان قال قائل

(انتهت المقدمة)